عشرة أيام على عشر
الإدمان الصامت

المزمار اللعين

(رواية)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

١٩٩٤م

الإهـداء :

إلى طفولتي المبكرة

..... المؤلف

(١)

في كوستيرا بجمهورية جمايكا خرج كارل و معه صاحبه دافيد إلى باحة منزله الواقع على شاطئ البحر و رفع الأخير يديه إلى فوق ثم أنزلها (يووووه ، ما هذا الصباح الكريه هواؤه الذي يثير إشمئزازي و تشاؤمي)

(لا تكن هكذا متشائما إلى هذا الحد ، فربما يكون جميلا يريد أن يفاجئنا بشيء ما)

(يفاجئنا ؟! أتحسبه إمرأة خجولة تسعى إلى خطبتك بمقلب هزلي ؟!! هيا كف عن هذا المزاح و دعنا نمشي ، أسرع)

و عندما أسرعا الخطو على الطريق متجهين إلى كوخهما المصنوع من القش الترابي اللون أخرج دافيد من صندوقه الخشبي المصنوع من لب نخيل جوز الهند المجلوب من الريف مزماره الكبير الذي ورثه من جده الثاني كاسبر العظيم كما يحلو له تسميته على سبيل المزاح لشدة نحافته ، فبدأ النفخ في فتحته ليسد كارل أذنيه حتى لا يسمع بتاتا (كف عن هذا أيها الزمار المزعج)

(لماذا تريد أن أكف أيها الزنجي الأحمق ؟!)

فضحك كارل كثيرا (مازلت يا دافيد تتقن المزاح السمج كعادتك أيها النبيل الأرعن)

(كف عن مديحك السمج يا هذا و هيا بنا ..... إنتظر قليلا ، نسيت شيئا واحدا)

(ما هو ؟)

(الوسادة ! أين هي ؟!)

فأصابت كارل نوبة من الضحك الحار مما آثار غضب دافيد

(يا لك من أحمق ، أخبرك أين الوسادة و أنت .....)

يحرك كارل يده ضاحكا (هدئ من روعك ، هاهي)

فذهب إلى دولابه فأخرج منها الصنارة ليأخذها دافيد عنوة منه و يضرب كارل بها (هيه ! ألم تنس شيئا مهما ؟!!)

(ما هو هذا الشيء ؟)

(ها ها ها ، نسيت أن تأخذ الصنارة)

فضربه كارل بيده (تبا لك من خبيث يا دافيد ، لقد ذكرتني بالشيء الذي أبحث عنه للصيد)

(إذن ، هيا بنا)

ركب الإثنان القارب لصيد نصيبا وافرا من الأسماك هذا عل و عسى !

في تلك الأثناء كان محافظ كوستيرا جونسون يتناقش مع نائبه بيتر في أمورها اليومية (سيدي المحافظ ، أنظر إلى كينغستون كيف هي تعيش في نبع صافي بفضلكم ...)

(أعرف هذا يا بيتر ، لكنها ستتعرض لمخاطر جمة و هذا ما أخافه)

(كيف يا سيدي المحافظ و قد إستطعنا دحر القراصنة الأمريكيين من سواحلنا بفضل جنودها البواسل ؟)

(و هل نسيت النزاع الذي جرى بيننا و بينهم قبل أن يتوقف على إثر هدنة طويلة العام الماضي ؟ أخشى أن ينفرط عقدها و يستأنفون هجومهم علينا مجددا)

(أعرف ما تتخوف منه هو قيام حرب شديد بيننا و بينهم ، فهؤلاء القراصنة معروفين بعنفهم الوحشي و جبنهم و غدرهم و إعتداءاتهم المتكررة على أراضينا منذ تحررنا من قبضتهم سعيا وراء ثروتنا السمكية الوفيرة)

(لذا علينا مراقبة سواحلنا بإستمرار و دون تأخير)

ما إن رسى القارب في عرض دافيد مع صديقه كارل الذي سارع بتنبيهه

(عليك ألا تتجاوز أكثر من خمسين مترا)

(لماذا ؟)

(علينا أن ننفذ أوامر المحافظ بعدم تجاوز المنطقة المحظورة فحسب ، أتفهمني يا صديقي ؟)

(أفهمك و أعدك بذلك ، و لكن بشرط ألا تزعجني و أنا أستريح على وسادتي / مفهوم ؟)

ضحك داود (كما تريد يا سيد دافيد)

فأمسك دافيد بطرف القارب ، فأنزل الخشبة ثم صعد إلى القارب (أنزل المرساة يا كارل)

(حسنا)

فمد داف يده إلى كارل (أمسك بيدي يا كارل)

فصعد إلى القارب (و الآن قل ما تريد و غني ما تريد يا صاحبي)

و أشار دافيد بيده (ليس الآن ، عندما نصطاد الكثير من السمك و نملأ القارب به عندها سأخبرك)

(آه منك و من تصرفاتك ! حسنا ، سوف نقوم بما تريد)

فرمى كارل صنارته إلى الماء بجانب صنارة دافيد لكي يصطادا الأسماك حيث غنما أعدادا كبيرة منها و بعدها إستراح كارل على وسادته العريضة (آه ، أشعر كأننا أخذنا غنيمة في حرب لم ترق فيها قطرة دم واحدة ، ها ها ها)

فضحك داود كثيرا (معك حق ، و الآن حان وقت العزف على مزمارك العزيز)

(لم أنس ذلك يا عزيزي ، و الآن نبدأ)

فاخرج دافيد المزمار فنفخ في فوهته عازفا لحنا جميلا أعجب به كارل قليلا و في الضفة الأخرى كان فيها رجلان من القراصنة الأمريكيين قادمان إليهما (من الرجلان ؟)

(إنهما من جمايكا ، فأحدهما ملون و الآخر زنجي)

(و لكنهما مريبان للغاية ، فهما يجلسون هناك و لا يبالون بأي قادم)

نظر الثاني إليهما فإلتفت يمينا و يسارا مشيرا بيده (ربما يكونان من رجال خفر السواحل متنكرين بهيئة صيادين فقيرين في وسط الكاريبي)

(أظنهم يريدون شيئا مغريا)

(حقا ، فأغلب البحارة من جمايكا يصطادون في الأماكن التي تعج بالأسماك حتى و لو كانت وراء حدود بلادهم)

(إذن ، هم من الذين يستولون على الأماكن التي توجد فيها أسماكا كثيرة بينما نحن نجد أسماكا قليلة عندنا)

(و هذان هما من ضمن البحارة الذين يختارون الأماكن الممتازة لتواجد الأسماك ! علينا التخلص منهما)

فغطس الرجلان في المياه و غاصا بإتجاه قارب كارل و دافيد الذي إنتهى للتو من العزف و بتصفيق حار من الأول (إنك رائع ...)

فوضع دافيد حافة سبابته على فمه (صه ، إني أسمع كلاما خفيا من ورائنا ؟!)

(ربما أنهم لصوص يتبعونا من أجل سرقة السمك)

فإندفع الغريبان نحوهما (الآن هيا)

فدفعا القارب فسقط كارل و دافيد المندهشين مما حدث (هيا يا دافيد ! ننجو بأنفسنا !!)

فأمسك دافيد بالمزمار صارخا فجأة (السمك ! السمك !)

(لا وقت لدينا لأخذ السمك إلى القارب)

و سبح الإثنان إلى أن وصلا إلى المرفأ و لكن دافيد توقف (مهلا يا كارل إنتظر)

فإلتفت كامل إلى صاحبه (ما الأمر يا دافيد ؟)

(هناك من دفع القارب من تحتنا و ليس من الخلف)

(و لكن لم نلاحظ وجوده)

(تبا لمزماري ، إنه لعين)

فأشار كارل بإصبعه (أنظر إلى القارب و من فيها هيا)

(إنهما رجلان من القراصنة ، لا بد أنهما دبروا لنا ذلك)

أما الرجلان (ها ها ، لقد تخلصنا من سارقي الأسماك ؟)

(أجل ، و بهذا لا يستطيع الصيادون الجمايكيون صيد الأسماك من عندنا)

فظهر دافيد و صعد إلى القارب (هل أنت متأكد أن خطتك نجحت يا هذا ؟)

فإلتفت إليه فهوى بيده عليه و ضربه فوقع الرجل الأول محاولا الثاني ضربه فسارع كارل بإيقاعه و إفقاده توازن ساقيه

على الأرض فأتى الثاني و ضرب دافيد و سقط الأخير و حاول التخلص منه ، و لكن دافيد دفع الرجل برجليه على بطنه فسقط في الماء و الأول نهض و أمسك بكارل على الأرض و حاول أن ينهض و لكن الرجل ضرب كارل مرة أخرى و حاول رميه إلى الماء ، فأسرع كارل و ضربه بقدمه ففقد الرجل توازنه ثم وقع فأمسك بأصابعه و ضغط كارل بقدمه على أصابعه فسقط الرجل مغشيا عليه (هيا فلنأخذ القارب و بسرعة)

(و ماذا عن القراصنة ؟)

(دعهم و شأنهم ، المهم أن نعود إلى المرفأ سالمين)

فجدف كارل بسرعة و معه دافيد من القارب حتى وصلا إلى الشاطئ (لقد نجونا منهم ، ماذا تعتقد غايتهم من أخذ القارب منا حتى يضربوه من طرفه ؟)

(لا أعرف لماذا يفعلوا هكذا)

فضرب رأسه (أخ !)

(ماذا بك ؟)

(لماذا نسيت هذا الأمر ؟!)

(أي أمر هذا ؟!!)

(لقد إصطدنا أسماكا في منطقة كثيرة الأسماك ، يا لنا من حمقى)

(تقصد أن الناس في بلدنا سيعتقدون بأننا نسرق السمك ؟)

(بالضبط يا ذكي ، و أظن أن القراصنة ليس عندهم أسماك كثر يقومون بعمليات نهب للسفن الجمايكية)

(علينا أن نبلغ المحافظ جونسون بذلك الأمر)

(لقد فات الآوان ، فالمحافظ مشغول جدا ، فعلينا أن نبقى هنا إلى أن ينتهي من أمره)

و في مبنى المحافظة جونسون إجتمع حوله الصيادون (سيدي المحافظ ، إلى متى سنظل هكذا و القراصنة الدومينيكان يهجمون علينا يوميا دون رادع ؟)

فرد آخر (ثم يتهموننا بسرقة الأسماك عليهم ، ألا يعرفون أنها تأتي إلينا كل موسم سعيا وراء كميات البلانكتون الهائلة و الموجودة في سواحلنا ؟)

أمـــا دافيـــد فجلـــس و كامـــل علـــى الكراســـي و هـــم يشـــاهدان الجـــدل العقـــيم بـــين زملائهـــم الصـــيادين مـــع المحـــافظ بغايـــة الملـــل ، فيضرب بيده طرف رأسه (أتشعر بالضجر يا كارل ؟)

(لا)

(أتحب الضجر كثيرا ؟!)

(بلـــى ! مـــا هـــذا الســـؤال الســـخيف يـــا دافيـــد ؟! بـــالطبع أمقتـــه و بشدة)

فـــأخرج دافيـــد مزمـــاره (مـــا رأيـــك أن أعـــزف علـــى مزمـــاري حتـــى يذهب عنا الضجر الذي تعيشه أنت ؟)

(ألم تقل لي من قبل أنه لعين ؟)

(و لوكـــان لعينـــا ، فأنـــا أرجـــع إليـــه صـــافحا عنـــه بإعتبـــاره شـــيئا عزيزا علي دون أن أعلم أنني أرتكب حماقة بشأنه)

(أهي أحجية ؟)

(و أكثر من ذلك)

(لا بـــأس عليـــك ، إعـــزف مـــا شـــئت و لـــن ألومـــك فـــي أي شـــئ أبدا ، هيا)

فعــزف دافيــد علــى المزمــار ممــا جعــل الإثنــين فــي هــدوء نســبي للغاية .

(٢)

تلقى المحافظ جونسون الشكوى المقدمة من صيادي منطقته المحليين من الإعتداءات التي يتعرضون لها اليوم (هذا ما كنت أخشاه ، أنه هجوم القراصنة الأمريكيين المتكرر علينا من أجل السمك ، يا له من شئ سخيف)

(أعرف ما تخاف منه سيدي ، و لكن كما تعرف هؤلاء القراصنة الأمريكيون عندما يشكون من شئ يتعصبون له ألا و هو هوس إمتلاك أسماك العالم لملء معدتهم بها)

(ها ها ها ، أعرف طبيعتهم جيدا ، فأنا أرى أن أرسل جنودي إلى سواحل كوستيرا لحمايتها من هجماتهم الليلية)

فدوى إنفجار و ضوء في وسط البحر ، فإلتفت السيد جونسون بنظره ملؤه الرعب إلى النافذة (ما هذا ؟)

(إنها ألعابا نارية)

(أعطنى المنظار)

فأعطاه المنظار ففتح جونسون النافذة و وضع المنظار على عينيه مندهشا (ليست ألعابا نارية ! إنهم القراصنة يقومون بتفجير القوارب الراسية على مرفأ الصيادين)

(فلنسرع إلى المرفأ لكي نوقف هجومهم على قواربنا)

وضع المحافظ جونسون منظاره جانبا و إلتفت إلى الصيادين (أرجوك إبقوا هنا ، أرجوكم)

(لا نستطيع سيدي أن نراهم يدمرون قواربنا و نحن هنا نجلس نتفرج عليهم دجاجا مذعورا لا يجرؤ على حماية نفسه حتى)

فخرجوا سيلا جارفا نحو مصدر رزقهم الوحيد ليحموه من إعتداء القراصنة و نادى جونسون سكرتيره (أيها السكرتير ، إستدعي جنود المارشال هستون في الحال ، هيا)

(أمرك سيدي)

فذهب السكرتير بسرعة لإستدعاء المارشال و دافيد و هو ينظر إلى مزماره غير مكترث بما يحدث (أعرف أنك لعين أيها اللعين)

(أهذا وقته يا دافيد ؟! هيا بنا)

فركب الإثنان القارب فعرفا مكان المعتدين حيث رموهم بمواد حارقة عليهما في الحال فإحترق طرف مركبهما (الذي يحدث ؟!)

(إنهم يهاجمونا)

(لا بد من دحرهم في الحال ، أعطني القنابل التي معنا)

فأعطى زميله القرصان القنابل حيث رماها على دافيد و صاحبه فإنفجرت في المياه قرب قاربهما (يا لها من حركة سخيفة منكما ، أعطني سهما ناريا في الحال يا كارل)

فأعطاه كارل سهما ناريا رماه بسرعة البرق فقط على شجر المانجروف المحيط بقارب القراصنة لتحترق بأسرها أمام اعين القرصانين المذهولين المرعوبين الغاضبين ليلوذا بالفرار منهما (تبا لكما)

وصل السكرتير إلى المارشال هستون (حضرة المارشال هستون)

فإلتفت المارشال إليه بتململ و لا مبالاة(ما وراءك أيها السكرتير إدوارد ؟)

(أن السيد جونسون يأمرك بالذهاب نحو ساحل كوستيرا مع قواتك لوقف المعارك التي بين كل الجمايكيين و القراصنة الأمريكيين)

(و ما السبب ؟)

(بسبب أماكن توافر السمك في منطقتنا)

(ألـــم يلتـــزم الطرفـــان بإتفاقيـــة الحـــدود البحريـــة للصـــيد البحـــري المبرمة بينهما عام ١٩٩٠م بعدم القتال ؟)

(ســـيدي نحـــن فـــي خطـــر داهـــم و أنـــت تطـــرح أمـــامي مثـــل هـــذه الأســـئلة ؟ القراصـــنة الأمريكيـــون مـــن أجـــل أطمـــاعهم الدنيئـــة لا يعرفون شئ إسمه سلام ، أرجوك المسالة ملحة)

(حسنا ، أنا مستعد للمهمة ، إلى القتال يا رجال)

أما كارل فهز دافيد (دافيد ! أنظر !)

فإلتفـــت دافيـــد إلـــى خلفـــه (الصـــيادون ! أصـــدقاؤنا أتـــوا أخيـــرا لمساعدتنا)

فأشار بذراعه (نحن هنا ، ساعدونا)

فيراه أحدهم (إنه دافيد ، هيا نساعده يا رجال)

فـــإنطلقوا جميـــع البحـــارة بقـــواربهم نحـــو قـــارب دافيـــد و كـــارل (أين القرصانان يا دافيد ؟)

فأشـــار دافيـــد إلـــى مـــا تبقـــى مـــن أشـــجار المـــانجروف (أطلقـــوا النار عليهم)

فـــأطلقوا النـــار علـــى أشـــجار المـــانجروف مخـــرجين القنابـــل مـــن جعبـــتهم و أشـــعلوا فيهـــا النيـــران ، فأمســـك كامـــل بإحـــداها (و الآن ستنالان جزاءكما)

فرمـــى بـــه إلـــى الأشـــجار لتنفجـــر بمـــن فيهـــا و تقضـــي عليهمـــا ففرحوا كلهم (لقد إنتصرنا ، كلها لنا)

فنظـــر إلـــيهم دافيـــد (لـــم تخصصـــوا لفـــرحتهم وقتـــا مناســـبا فـــإنظروا)

فنظـــروا كلهـــم نحـــو قنبلـــة متجهـــة إلـــيهم فســـقطت ففجـــرت إحـــدى قواربهم أمام سخرية القراصنة (لم ينجحوا ، ها ها)

فـــرد أحـــد الصـــيادين الجمـــايكيين علـــيهم (تبـــا لـــك ، ســـأريك ،.... أعطني القنبلة)

فقـــذفها دافيـــد إليـــه ممســـكا بهـــا فـــأخبره كـــارل أن يرميهـــا فـــي مفـــرق قـــوارب القراصـــنة الراســـية بمحـــاذاة جنـــوب المرفـــأ حتـــى لا تختفـــي بســـرعة ، فيقـــذفها ناحيـــة المفـــرق المـــذكور آنفـــا ففجـــرت القـــارب كليـــا أمـــام غضـــب أحـــد القراصـــنة الفـــارين مـــن هنـــاك(لقـــد طفح الكيل ، فلنظهر أمامهم ، هيا)

فصـــرخ كـــارل بـــأعلى صـــوته علـــى دافيـــد محـــذرا إيـــاه ممـــا يحـــدث خلفـــه ، ليلتفـــت بـــدوره إلـــى الأمـــام و يـــرى مندهشـــا جيشـــا هـــائلا

من قوارب القراصنة تحتشد حوله و غيره من الصيادين الجمايكيين (يا إلهي ، كل هذه قوارب ؟!)

فأشار أحد القراصنة بيده نحوه (أنتم الذين بدأتم في القتال ضدنا)

فصرخ كارل مجددا مشيرا نحوهم بإشارة تحدي (بل أنتم الذين بدأتم في قتالنا دون حياء أو خجل)

(و تحسبونا أننا لصوص سمك و لكنكم أنتم قراصنة البحر)

(نحن قراصنة ؟! يا لصوص السمك ؟!!)

و بصوت واحد ردوا جميعا (نعم)

فردوا أحد القراصنة (هكذا إذن ، إليكم هذه)

فقذف قنبلة إليهم فسقطت ففجرت إحدى قوارب الصيد ما أغضب هذا دافيد الذي رد عليه بأحد القنابل و ألقاها على أحد القوارب التابعة للأعداء أمام صرخة غاضبة من أحدهم (لن تنجو بفعلتك تلك أيها الجمايكي الحقير)

و ألقى قنبلة على الجمايكيين فحطم قاربا واحدا فقط ، فهمس كارل إلى أحد الصيادين (أريد تحطيم ثلاث قوارب لهم على الأقل دفعة واحدة)

(لكي تفعل ذلك ، ألقي قنبلتين على سطح الماء و لا ترمها على القوارب مباشرة بحيث تكون سريعة القذف و تصل إلى القوارب فتفجرها ، هل فهمت ؟)

(لقد فهمت ، هاتها لقد حان وقتها)

فأعطاه له فوضعها بهدوء في الماء تحت إحدى القوارب فمرت القنبلتان دون إنتباه من أحد (لماذا تذهب هذه القاذورات إلينا دون سبب ؟)

(إنها قنابل ايها الغبي ، إنفذ بجلدك ستنفجر لا محالة)

فإنفجرت و تحطمت ثلاث قوارب ففرح الجمايكيين أيما فرح بذلك

(لقد نجحنا يا كارل)

(نعم يا صديقي نجحنا)

و بينما هم يضحكون كان القراصنة يغمرهم الغضب الشديد مما حدث (يا لهم من خبثاء ، لا بد من مفاجأة هؤلاء كما فاجأونا)

(لا تخف يا صاحبي ، أنظر إلى هذه)

فنظر إلى ما في يده فإذا بها قطعة خشب عادية (هل تسخر مني ؟! أتريدنا أن نفاجئهم بقطعة خشب ؟!!)

(أصبر قليلا و سترى)

فألقاها إلى أحد القوارب الجمايكية (ما هذا ؟)

فإنفجرت ثلاث قوارب بواسطة قطعة خشب مفخخة (تبا لكم ، ستنالون جزاءكم)

فإستمر الطرفين في تبادل القنابل بينهم إلى أن وصل المارشال المتباطئ هستون و جنوده إلى أرض المعركة (ما هذا ؟! لقد أخبرني إدوارد بأن الصيادين الجمايكيين و القراصنة الأمريكيين يخوضون حربا شعواء بينهما ، فأين هم ؟!!)

فأشار أحد جنوده إلى مكانهم (سيدي المارشال أنهم هناك)

(حقا ؟ أنهم هناك في اليمين فلننطلق نحوهم على وجه السرعة يا رجال)

فصرخ جنوده على الفور (حالا يا سيدي)

فركب المارشال هستون السفينة و إنطلق بها إلى قلب المعركة و صاح بأعلى صوته (أيها البحارة أنا المارشال هستون ، إنسحبوا فورا)

فإلتفت دافيد (أنظروا أيها الرجال ، إنه المارشال هستون يأمرنا بالإنسحاب ، فهيا بنا)

(هيا بنا ننسحب يا رجال هيا)

فزع القراصنة لرؤية المارشال هستون (إنهم خفر السواحل لقد اتوا ، فلنهرب بسرعة)

ما إن لاذوا بالفرار حتى رآهم دافيد ساخرا (هرب الجبناء)

فوصل الصياديون الجمايكيون و من بينهم دافيد و كارل إلى السفينة و صعدوا إليها أمام صراخ المارشال (لماذا قمتم بمهاجمة القراصنة بهذا العنف ؟)

(لأنهم باغتونا بالهجوم علينا مدعين بأننا نسرق عليهم الأسماك في مياههم البحرية و هذا كذب لأنها مياهنا الدولية ..... فقاموا بالهجوم علينا و قواربنا بسبب هذا الإدعاء)

(فقاومنا بكل قوتنا هجماتهم التي تأتي من بعيد)

(هكذا إذن ، فهم الذين بدأوا بنقض الهدنة و نحن نتجاهلها ، حسنا ، سوف نذهب الى جونسون لنعرف ماذا سنعمل ضد هؤلاء السفلة)

أمـــا القراصـــنة فرجعـــوا إلـــى عاصـــمتهم غرينـــادا فإســـتقبلهم الســـيد ســـكاريلو أحـــد كبـــار المســـئولين بالدولـــة و تجـــار الســـمك المشـــهورين فـــي بلادهـــم فـــرآهم عـــن قـــرب مشـــيرا إلـــيهم بـــالجلوس فجلســـوا كلهـــم فســـألهم (لمـــاذا عـــدتم إلـــى غرينـــادا علـــى وجـــه السرعة ؟)

(لقـــد هربنـــا مـــن خفـــر الســـواحل الجمـــايكي الـــذي باغتنـــا بـــالهجوم)

(أهـــربتم لهـــذا الســـبب أم أنكـــم تخفـــون عنـــي شـــيئا آخـــر أيهـــا الجبناء ؟ تكلموا !)

(لا أبـــدا يـــا ســـيدي ، كـــل مـــا فـــي الأمـــر أنهـــم ظنـــوا أننـــا قراصـــنة أمريكيون أتينا للإستيلاء على قوارب الصيادين فحسب)

(و نحـــن نقـــوم بالكـــذب علـــيهم رغـــم أننـــا نحـــن متأكـــدون مـــن أنهـــم هم يسرقون الأسماك كلها ....)

(إذن خفـــر الســـواحل الجمـــايكي هـــم مـــن بـــدأوا الهجـــوم علـــيكم بقوة ، أليس كذلك ؟)

(نعـــم ســـيدي ، و هـــم الان يقومـــون بإعـــداد هجـــوم فـــي الغـــد ، هـــل علينا أن نراقب تحركاتهم ؟)

(لا لا علينـــا أن نقـــوم بغـــارة بتهديـــدهم بألايحاربونـــا و يخـــالفوا الإتفاقية المبرمة بيننا)

و عنـــد الســـيد جونســـون قـــدم البحـــارة مشـــكلتهم أمامـــه (مـــاذا سنفعل الآن سيدي المحافظ ؟)

(علينـــا ألا نقاتـــل فـــي البحـــر و لا داعـــي أن نصـــطاد فـــي وســـط المياه)

(لماذا يا سيدي لا نفعل ؟)

(لأننـــا بهـــذه الطريقـــة ســـوف نعـــرض أنفســـنا إلـــى خطـــر الحـــرب التـــي ســـتندلع مـــن جـــراء ذلـــك ، فأنـــا قـــررت أن أرســـل جنـــودا فـــي وســـط ميـــاه الكـــاريبي حتـــى يصـــدوا مـــن بعيـــد هجمـــاتهم ، و الآن عودوا إلى منازلهم هيا)

فغـــادر الجميـــع منـــزل الســـيد جونســـون فخـــرج دافيـــد و معـــه صـــديقه كـــارل حيـــث كـــاد أن ينفجـــر مـــن شـــدة الغضـــب (لمـــاذا يقـــول المحـــافظ لنـــا هـــذا الكـــلام ؟ أيحســـبنا ســـوف نتـــركهم يفعلـــون ما يشاؤون دون أن نحرك ساكنا نحوهم ؟)

(هـــدئ مـــن روعـــك يـــا دافيـــد ، فالمحـــافظ يحـــاول حمايتنـــا مـــن هجمـــات القراصـــنة الأمـــريكيين الخطـــرة جـــدا و غـــدرهم فحســـب)

(يبـــدو أنـــك محـــق يـــا كـــارل ، فـــنحن الجمـــايكيون عنيـــدون و سـذج ، عكـس أعـدائنا المتعصـبين و العنيفـين الـدهاة ، لـذا علينـا أن نرجع إلى كوخنا)

فرجـع الإثنـان إلـى الكـوخ و نـام دافيـد و كـارل فـي سـرير واحـد مع بعضهما البعض .

فـي صـباح اليـوم التـالي نهـض الإثنـان و ذهبـا إلـى الحانـة حيـث حمـــل دافيـــد مزمـــاره معـــه هنـــاك (لا أتخيـــل أن يكـــون هـــذا الصباح جميلا إلى هذه الدرجة)

فإســتغرب كــارل مــن كلامــه (لمــاذا تقــول هــذا الكــلام ، أهــو بسبب النزاع بيننا و بين القراصنة ؟)

(لا أبـــدا ، لكنـــه بســـبب الخـــوف مـــن مزمـــاري اللعـــين ، فعنـــدما أعزف عليه تحل اللعنة علينا)

(هون عليك يا دافيد و أعزف به ما شئت يا صاحبي)

(و ماذا إذا حلت لعنته علينا ؟)

فهـــدأ كـــارل مـــن روعـــه (لا تخـــف ، ســـوف أجعلهـــا علـــى مسئوليتي من الآن فصاعدا)

(كما تريد)

فعــزف دافيــد علــى المزمــار فأعجــب بهــا كــارل بصــوته الرنــان ، و ظــل دافيــد يعــزف عليــه إلــى أن قــذف القراصــنة بقذيفــة نحــو كوســتيرا فــدمروا عبرهــا منــازل برمتهــا ممــا جعلــه يتوقــف تمامــا و يغضــب (أرايــت ؟ لقــد ســقطت اللعنــة ، فتحطمــت بيــوت جيراننــا بسببه ! تبا إنه لعين !!)

(هــذا لــيس وقــت العتــاب و الشــتائم يــا عزيــزي ، و هيــا بنــا ننقــذ حياة الناس المتضررين من الحادث)

فإتجــه الإثنــان و صــاحا بــأعلى صــوتهما (كــل النــاس يهربــوا مــن بيوتهم حتى لا تصل النيران إلى غيرها من البيوت المجاورة)

فخــرج جميــع جيــرانهم مــن بيــوتهم و أمــر المحــافظ جونســون جميــع الجنــود بــأن يطفئــوا الحرائــق الناشــبة فــي الحــال ، فــتم إطفــاؤهن جميعــا (تبــا لهــم ، لقــد خــدعونا بغــارة لعينــة بقذيفــة سريعة ، يا لهم من أشرار !!)

(و ماذا نفعل أمامهم يا سيدي ؟)

(بــأن تــرد علــيهم بقذيفــة مماثلــة موجهــة ضــد القراصــنة الأمريكيين و في الحال !!!)

(ما هذا الذي تتفوه به يا دافيد ؟)

فضرب دافيد الطاولة (أنا أقول ما بنفسي يا حضرة المارشال ، لقد ضقت ذرعا من تساهلكم معهم)

أما في غرينادا فضحك القراصنة و على رأسهم سكاريلو و أتباعه مما حدث (الآن تكتمل فرحتنا بالنصر)

(و لن يستطيع الجمايكيون السيطرة على سواحلنا ، و بهذا نصطاد السمك كيفما نشاء)

و أثناء ذلك ، إنطلقت قذيفة نارية ماحقة إلى بلدهم من إحدى السفن الحربية الجمايكية فحطمت مبنى حكوميا تابعا لهم فيه أثار خوف سكاريلو المتفاجئ منها (ما الذي يحدث ؟!!!)

فرد أحد رجاله (لقد احترق مبنى بلدية سان بيدرو على الساحل من قبل قذيفة إنطلقت من خفر السواحل الجمايكية)

(قلت بلدية سان بيدرو ؟!! إذن فقد أعلنوا الحرب علينا ، فلنسرع في إطفاء الحريق هناك هيا يا رجال)

فأطفأوا رجاله كل النيران و أخرجوا من كان محاصرا في مبنى البلدية أحياء (ظننتهم لن يجرؤوا على الرد علينا و هم يعرفون مدى قوة سفننا البحرية)

(لقد وجدوا الفرصة المناسبة لذلك كله)

(لم يبق لدينا سوى حل واحد فقط ، هو الإتفاق على هدنة سريعة التنفيذ بيننا)

(لكن سيدي .....)

(عليك أن تعرف السياسة تفرض علينا خيارات صعبة علينا تقتضي نوعا من المهادنة و لو مؤقتا حتى نستوعب ما حدث و نستعد للضربة القادمة الموجهة اليهم ، أيتها السكرتيرة إحجزي لي طائرة الساعة الخامسة مساء المتجهة إلى جمايكا ، بسرعة)

(حاضر سيدي)

فسافر سكاريلو إلى كينغستون ثم إلى كوستيرا برا للتفاوض مع السيد جونسون الذي رفض طلبه في البداية(لا لا استطيع ، لقد تجاوزتم حدودكم و نقضتم الهدنة المعقودة بيننا ، لذا لا أستطيع الوثوق بكم)

(و لكنك كما تعرف ، قد عرفنا خطأنا و قدمنا إعتذارا رسميا للحكومة الجمايكية فقبلت به و ها نحن جئنا لتصحيحه فقط)

(و من يضمن لي عدم تكرار ما حدث ؟)

(لك الضمان الذي تريده ، و لو اذيتك سوف لا تراني و رجالي هنا أبدا)

(إتفقنا ، هاك يدك)

فتصافحا الإثنان من جديد فيما بينهما ، وقتها وصل خبرها إلى كارل و صديقه دافيد (داود ، لقد إتفق المحافظ مع مبعوث القراصنة الأمريكيين على فتح صفحة جديدة و عهد جديد بيننا و بينهم)

(لا تصدق هذا الهراء)

(ماذا تعني بأنه هراء ؟! أفصح يا رجل ؟!!!)

(أعني أنهم فعلوا ذلك من أجل جمع قواتهم للهجوم المباغت علينا و نحن في غفلة من أمرنا ، إنها حيلة منهم لأجل ذلك)

(هكذا إذن ؟!!!!)

(و أضف على ذلك ، المارشال ريتشارد يعرف ذلك)

و في نفس الوقت أمر جونسون المارشال هستون (عليك أن تراقب سواحل كوستيرا جيدا دون توقف أو غفلة منك ، عندي إحساس بأن سكاريلو هذا كاذب و رب الكعبة)

(أمرك سيدي)

فإنطلق المارشال إلى سفينته الحربية ، أما سكاريلو فجمع رجاله و إتجه إلى وسط المياه (و الآن سنريكم أيها الاعداء)

فنظر المارشال بمنظاره السحري العجيب عن بعد حيث عرف أن سكاريلو جمع كثيرا من الرجال و الجنود للقضاء على خفر السواحل فصرخ في جنوده (هجوم)

فرأهم سكاريلو متفاجئا من قدومهم (لا تدعوهم ينتصرون عليكم)

فبدأت المعركة حامية الوطيس بين الجمايكيين و القراصنة الأمريكيين فقتل منهم المارشال و أيضا سكاريلو ليعود الأول حاملا جثمان قائده القتيل إلى كوستيرا فيراه جونسون باكيا بشدة عليه (تمنيت لو قتلت معك)

أمـــا رئـــيس أمريكـــا عنـــدما علـــم بمقتـــل ســـكاريلو إعتصـــره الألـــم و الغضـــب فـــي آن معـــا (يـــا لنـــا مـــن حمقـــى ! ألـــم نـــتعلم مـــن الـــدروس السابقة و أيضا كيف نهادن ؟ سوف أمنع هذه التصرفات)

فـــدعا نظيـــره الجمـــايكي لتوقيـــع إتفاقيـــة الصـــلح التـــي عقـــدت بينهمـــا فـــي واشـــنطن بعـــد شـــهر مـــن المعركـــة الســـالفة الـــذكر ، فوقـــع كـــل منهمـــا علـــى ذلـــك و تبـــادلا الـــدفاتر فتصـــافحا بينهمـــا أمـــام النـــاس جميعـــا مـــن كـــلا الشـــعبين و لا ســـيما الجمـــايكيين الـــذي فرحـــوا بهـــذه الإتفاقيـــة فرحـــا خفيـــا حتـــى لا يجرحـــوا مشـــاعر النـــاس المتواجـــدين فـــي عـــزاء المارشـــال هســـتون ، فـــألقى كـــارل خطبـــة خـــلال مراســـيم التـــأبين (إننـــا نعـــرف مـــا قـــام بـــه المارشـــال مـــن خـــدمات جليلـــة دون إنتبـــاه منـــا لهـــا نحـــو وطننـــا جمايكـــا و بـــالأخص مـــدينتا كوســـتيرا ، و أعـــرف أيضـــا أن أغلبنـــا ســـيلوم المحـــافظ جونســـون علـــى قـــراره بـــإعلان الحـــرب ضـــد القراصـــنة هـــذا الـــذي جعلنـــا نخســـر قائـــدا عســـكريا عظيمـــا كالمارشـــال و لكنه القدر أيها السادة و علينا أن نرضى بحكمه)

فـــإنتهى مـــن خطبتـــه ليـــأتي صـــديقه دافيـــد ليعـــزف علـــى مزمـــاره لحنـــا حزينـــا مـــن موســـيقى الريجـــي ســـيجي الشـــعبية الشـــهيرة التـــي نشـــأت فـــي جمايكـــا منتصـــف الخمســـينات ، و مـــا إن انتهـــى مـــن العـــزف

حتى دوى صوت الرصاص و القنابل في كل مكان فصرخ دافيد على مزماره (يا لك من مزمار لعين)

(هذا ليس وقت الشتائم و الأوصاف البذيئة لمزمارك المحترم ، هيا معي يا دافيد)

فذهب دافيد مع صاحبه صوب المحافظ جونسون (من هؤلاء أيها السكرتير إدوارد ؟)

(إنهم المتمردون ضد الدولة يا سيدي ؟)

(أي متمردين ؟!)

(جماعة جبهة التضامن اليسارية سيدي)

(علينا أن نقضي عليهم)

(فلنقتلهم جميعا)

فصرخ جونسون في وجهه (لا يا إدوارد ، سيؤدي هذا إلى حرب أهلية فعلينا أن ندافع عن أنفسنا بقدر الإستطاعة)

لكن كارل حاول القيام بهجوم مباغت قبل أن يمنعه دافيد من ذلك حيث إقتصر دورهم على الدفاع دون أن تتوقف المعارك بين الطرفين حتى مطلع الفجر بعدما خف هدير معاركها

الملتهبة نسبيا ، فسأل أحد المتمردين زعيمه (أظن أنه من الأفضل يا زعيم أن نستسلم لهم يا سيدي ....)

(ويحك يا بيتر ! أبعدما صمدنا هذا الصمود البطولي الذي حقق لنا النصر في الأخير و تقول أن نستسلم للمهزومين ؟!!)

(بل نحن المهزومين يا سيدي ، فإنتصارنا هذا كلف الكثير من رفاقنا الذين سقطوا شهداء من جراء المعارك الطاحنة التي جرت البارحة ، و لو خضنا معاركا أخرى فسيكون فناءنا جميعا)

(أظن أنك محق ، علينا أن نرحل من هنا)

و في الحال خرج المتمردين أمام سكان كوستيرا أمام محافظهم السيد جونسون الذي قابل زعيمهم (نحن نستسلم ...)

(أنا أعرف أنكم لستم خونة ، و لكنكم قمتم بهذا من أجل حقوقكم ، فمن أراد أن يبقى فليبقى .....)

(أما أنا سأذهب ، فمن أراد اللحاق بي فليحق)

فـذهب أغلـب المتمـردين مـع زعـيمهم ماعـدا قلـة مـنهم فضـلت العـيش بسـلام مـع سـكان المدينـة حيـث سـال دافيـد صـديقه كارل (لماذا ذهب الزعيم و من معه خارج جمايكا كليا ؟)

(حتى لا يلقي الضرر ببلاده وبشعبها أيضا و ألا يحاربها مجددا)

(لا يا صاحبي الذكي ، ليس هذا هو هدفه)

(ماذا تعني بكلامك هذا ؟!)

فإبتسـم دافيـد (أعنـى أنـه سـيتجه فـي الأخيـر نحـو مقـر القراصـنة الأمـريكيين فـي غرينـادا مـن أجـل أن يقـيم شـركاته الخاصـة هنـاك بعيدا عن أي عمل سياسي)

(يبـدو أنـه مصـير كـل سياسـي أو مسـئول سـابق فـي الدولـة بجمايكـا ، فبعـد أن يتقاعـد يتجـه صـوب عـدونا اللـدود و بعـد سـنتين مـن إقامتـه هنـاك يتجـه إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة)

فضـحك دافيـد (أعـرف هـذا يـا صـديقي ، و لكـن عنـدما يرحـل إلـى غرينـادا يحمـل بـيض البجـع التـي نهبهـا مـن خزينـة الدولـة و أموال الشعب دون أن نحرك ساكنا تجاهه)

فضحك الإثنان كثيرا دون أن يشعروا بالطائرة التي تطير فوق مدينتهم كوستيرا حيث كان قائدها يتحدث مع زميله الذي بجانبه (آه ، أشعر بالراحة عندما نسلم الشحنة إلى المطار فورا وصولنا إلى كينغستون)

(إنها رابع شحنة جبن هولندي نأخذها إلى جمايكا هذا السنة مقابل القليل)

(معك حق ، و لكن علينا أن نذهب بسرعة و أن ننتبه لمسار طيراننا)

(حسنا ما دام أنتما موجودان ، فسأراقب الوقود و المحرك)

(حسنا تيكو ، إذهب في الحال)

فذهب الرجل و فحص خزان الوقود ليجد شيئا يتسرب منه (هذا غير معقول ! أيها القائد هناك شئ ما يتسرب منه و نحن لم نهتم به)

فبينما كان الطياران يضحكان صرخ المهندس فزعا (أيها القائد ، أن الوقود يتسرب من الخزان)

فنهض القائد من مكانه ليشاهد الأمر على حقيقته (ماذا قلت ؟! كيف حدث هذا ؟)

(لا أعرف كيف و لكني وجدت يتسرب من فتحه ممزقه)

(سد الفتحة بسرعة يا تيكو هيا ، سأنادي آيك لمساعدتنا ، آيك تعال إلى هنا و شغل الطيار الآلي)

(حسنا سأفعل)

فأخذ آيك معه المسامير و أدوات التصليح مشيرا بيده إلى زميله (عليك أن تهبط بنا إلى مطار كوستيرا و بسرعة)

عاد القائد إلى كرسيه و أمسك بالمقود (لا أستطيع ، لقد تعطلت المكابح)

(كيف ذلك ؟)

فإصدمت الجناح بأحد أشجار جوز الهند فتحطمت كليا و إهتزت الطائرة (ما الذي حدث يا آيك ؟)

(لقد تحطم الجناح الأيسر يا سيدرك)

(أوه لا ، ماذا سنفعل ؟)

(علينا أن نهرب ثلاثتنا و ننفذ بجلدنا الآن)

(و شحنة الجبن الهولندي ؟ ماذا سنفعل بها ؟)

(دعها تحترق)

(ويحك يا آيك ، هل جننت ؟ أتريدنا أن نخسر ٢٧٠ مليون جنية إسترليني دفعة واحدة ؟ ...)

(أنخسر ٢٧٠ مليون جنية إسترليني خير من أن نخسر حياتنا يا رجل ، تحرك)

مشيرا بأصابعه المرتعشة (إذن ، هيابنا نقفز من الطائرة)

ففتح آيك الطائرة فقفزوا جميعا ليسقطوا في مياه الكاريبي و يسبحوا بكل ما أوتيت لهم من قوة إلى أن وصلوا الى الشاطئ لاهثين من التعب و الإرهاق ، أما الطائرة فسقطت على شجرة جوز هند و قد تسرب الوقود منه بكميات هائلة وصبت على الشاطئ فإحترقت مولدة إنفجارا هائلا هز هديرها المدينة الضجرة على الساحل (لقد كنت محقا يا سيدرك ، لقد كنا سنربح من هذه الصفقة ربحا كبيرا لا بأس به)

(المهم أننا نجونا ، ثم أن هذه الشحنة ليست الأخيرة)

فكان دافيد يعزف كعادته على مزماره و هو يرى الناس يتحلقون حول مكان الحادث ليسأل أحدهم (لماذا كل هؤلاء الناس يتجهون إلى شمال ساحل كوستيرا ؟)

(لقد إحترقت طائرة هناك و بالتحديد بين أشجار جوز الهند ، عن إذنك)

فنظر دافيد غاضبا إلى مزماره (تبا لك ، كله بسببك أيها اللعين)

و عندما إندفع رجال الإطفاء ليطفئوا الحريق و أخذوا الناجين معهم في الطريق و قد أتى المحافظ جونسون إليهم سائلا إياهم (هل هذه طائرتكم ؟)

(بلى)

(و ماهي طائرتكم ، أقصد نوعها ؟)

(طائرة شحن صغيرة)

(و ماذا كنتم تقلون فيها من بضائع ؟)

(كانت أطنانا من الجبن الهولندي و متجهين بهن إلى العاصمة كينغستون لإنزالها)

(و لكن يا للخسارة ضاعت و خسرنا كل شئ كنا نطمح به)

فهدأ جونسون روعهم قليلا (لا تقلقوا ، فلقد إتصلت بمسئول البضائع في شركتهم و قال أنه سيساعدكم لإعادة التأمين لكم)

(أشكرك سيد المحافظ)

أمـــا دافيـــد فظـــل ينتظـــر صـــاحبه كـــارل الـــذي وصـــل علـــى مهـــل كعادته (لقد تأخرت يا عزيزي ، أين كنت ؟)

(لقـــد كنـــا نقـــوم بإطفـــاء الحريـــق الـــذي حـــدث فـــي المدينـــة و انقـــذنا الناجين منها ، لماذا لم تاتي الى هناك ؟)

(لا داعـــي لـــذلك ، فلقـــد قمـــت بعملـــك علـــى أكمـــل وجـــه فـــلا داعي للمساعدة و كنت ألعن مزماري)

(يـــووووه يـــا عزيـــزي ، أمازلـــت تلعنـــه إلـــى هـــذا الحـــد و لا علاقـــة لـــه بما جرى ؟!)

(لقـــد تســـبب بوفـــاة جـــدي بأزمـــة قلبيـــة و لا تريـــد أن ألعنـــه يـــا صـــديقي مثنـــى و ثـــلاث و ربـــاع ؟ و لـــو أنـــي لا أعـــرف مـــا الحكمـــة من ذلك ، آه لو أعرف)

فربـــت كـــارل عليـــه (لا تتعـــب نفســـك فـــي ذلـــك يـــا دافيـــد ، إصـــبر يا عزيزي إصبر)

فربـــت دافيـــد عليـــه بالمقابـــل ، و أتـــى الليـــل فنـــام الإثنـــان (تصـــبح على خير يا صاح)

(و أنت كذلك)

(٣)

فـــأتى الصـــباح فـــنهض دافيـــد و معـــه كـــارل (أرى الجـــو غيـــر جميل هذه المرة)

(عـــدنا إلـــى التشـــاؤم مـــرة أخـــرى ، مـــا رأيـــك لـــو عزفـــت علـــى مزمارك قليلا ...)

(كارل ؟!)

(حسنا يا عزيزي لقد كنت أمزح معك)

فإنصـــرف كـــارل إلـــى العمـــل تاركـــا دافيـــد شـــارد الـــذهن (و لمـــا لا أعزف عليه ، عل الجو الكئيب يتغير)

فركـــب دافيـــد القـــارب و عـــزف علـــى مزمـــاره ، فـــإذا بـــه فجـــأة يـــرى أحـــد البحـــارة يصـــاب بـــالحمى فـــذهب إليـــه (مـــا الأمـــر ؟ مـــاذا حدث لك ؟)

(إنني مريض جدا يا صديقي)

فـــأتى كـــارل إلـــى مكـــان الحـــادث (يـــا إلهـــي ، إنـــه مـــريض بالتيفوئيد ، إنتظر يا دافيد و إهتم به)

(لماذا تجري هكذا يا كارل ؟)

(لقد أصيب صاحبي بالتيفوئيد و أنت تقول لماذا تجري ، أنا ذاهب إلى الطبيب بيتر)

(ماذا ؟! تيفوئيد ؟!! و هنا في كوستيرا ؟!!! تبا لمزماري اللعين)

(هلم يا دافيد و أحمل صديقنا إلى الطبيب بيتر بسرعة)

(حسنا هيا يا صديقي)

فظل الرجل يجري إلى أن وقع على الأرض فرآه الممرض توماس (ماذا بك يا رجل ؟)

(لي زميل مريض بالتيفوئيد تعال و ساعدني و سوف أخذك إلى الطبيب ، هيا)

فأخذه توماس إلى الطبيب بيتر فوصل إليه في الحال (ضعه هنا)

وضعه توماس على السرير فهمس في أذنه (سوف أعالجه بإعتباره المريض الوحيد فقط)

(و لكن التيفوئيد إنتشر في المدينة كالنار في الهشيم و ما زالوا ينتظرون المساعدات منا)

(مستحيل ، فهو مريض واحد و لم ينقل العدوى إلى غيره بعد ،كما أن الرجلان اللذان نقلاه وضعناهما في الحجر الصحي لمدة ساعة فكيف إنتقل هذا المرض إلى هؤلاء الناس ؟)

(إنها الحقيقة يا سيدي ، و لا نعرف كيف نتصرف)

(إذا كان الامر كذلك فعلينا أن نستعين بالسلطات الصحية بالعاصمة ، فالأمر ملح للغاية ، هيا)

(علم سيدي)

ما إن خرج الممرض توماس حتى إتصل بيتر بالمحافظ جونسون مبلغا إياه بمستجدات الأمر ، فضرب الطاولة بيده من شدة الغضب (تفشى المرض في المدينة ؟!!)

(نعم سيدي المحافظ ، لقد أخبرني الممرض بذلك)

(و كم عددهم حتى هذه اللحظة ؟)

(حاليا يبلغون بحدود الخمسين مريضا مصابا بالتيفوئيد و هم بدون علاج)

(أشكرك أيها الطبيب على إتصالك)

فأقفل جونسون الساعة (هذا لا يعقل ؟! ٥٠ شخصا خلال يوم واحد ؟!! لن أسمح بأن ينتشر بهذه السرعة الرهيبة)

فأمر أحد رجاله بالقيام بحملة صحية في الفور و حشد أكبر عدد من الممرضين و الأطباء للقضاء على هذا الوباء في مهده ، فإنصرف لتأدية مهمته ، فشرد جونسون للحظة (غريبة ! كيف إنتشر التيفوئيد بهذه السرعة الرهيبة دون أن أقدم المساعدة في وقتها المناسب ؟! كيف هذا ؟!! هل أستعين بأطباء من الامم المتحدة ؟!!! لا لا أستطيع ، المهم أن أقوم بإنقاذ أهل المدينة من الوباء)

وصل الممرض توماس فوجد كارل و دافيد يحملان رجلان مصابان بالتيفوئيد (هل هما مريضان بالتيفوئيد ؟)

(نعم يا سيدي)

(إذن ، خذوهما إلى الطبيب و بسرعة هيا يا رجال)

(لن نحملهما إلى الطبيب بل إلى المقبرة المقدسة)

فطأطأ توماس رأسه (لقد ماتا ، خذوهما إذن إلى المقبرة)

فذهب دافيد و صديقه إلى المقبرة المقدسة لدفنهما هناك ، فوجد توماس رجلا يحس بالمرض (دعني أساعدك يا سيدي)

فأمسك بالرجل و أخذ معصمه فقاس درجة حرارته و مرضه مندهش منها (معقول أن يحصل هذا في ذاك اليوم ؟!!)

فحمل المريض و جرى به بسرعة (لماذا تحملني بهذه السرعة ؟!)

(ستعرف كل شئ يا سيدي ، ستعرف كل شئ)

في عيادة الطبيب بيتر الداخلية جلس على طاولته فسمع رجلا يناديه (أهلا سيد بيتر)

فألتفت إليه فإنذهل من منظره (من ؟! الملازم جورج ؟!!)

(نعم ، إنه أنا)

(ما الذي جاء بك يا حضرة الملازم فجاءة هكذا دون موعد مسبق ؟)

(أتيت بأمر من السيد جونسون و بصحبتي خمسة من الأطباء لمساعدتك في عملك)

(أنا أشكرك لذلك يا حضرة الملازم حقا)

(لا شكر على واجب)

فإنصرف الملازم جورج و إجتمع حول بيتر الأطباء الخمسة (عليكم أن تتصرفوا بحذر في كل مكان حساس بالتيفوئيد ، هل فهمتم ؟)

(فهمنا)

فإنصرفوا كلهم فأتى توماس بسرعة خاطفة و معه الرجل المريض الى الطبيب فوضعه في السرير (ما الذي حدث لك يا توماس ؟! لماذا تلهث من التعب هكذا ؟!! و من هذا العجوز الذي تحمله بين ذراعيك ؟!!!)

(سيدي ، إنه مريض بالكوليرا ؟!)

(ماذا تقول ؟! كوليرا ؟!!! أما كفانا وباء التيفوئيد الذي يحصد الناس في المدينة فيأتينا وباء الكوليرا ؟!! و كلاهما فجأة في يوم واحد ؟!!! أعطني سماعة الهاتف)

فأخذها بيتر السماعة و رأى ما به (حقا ، إنه مريض بالكوليرا ، و الدليل شربه مياه ملوثة بالصرف الصحي فأصابه المرض)

(أتعني يا سيدي أنه .....)

(أنه مريض بالكوليرا قبل أن تنسحب جمايكا من الكومنولث بثلاث سنوات)

(يا ويلي ، كيف إستطاع تحمل هذا المرض طيلة هذه المدة ؟)

(علينا ان نعالجه قبل ان يهلك ، سوف اهتم به و انت انصرف لتعالج بقية المرضى ، اسرع)

فانصرف توماس و اهتم بيتر بالمريض بينما داود و كامل مازالوا يحاولون اسعاف المرضى من الجنسين الواحد تلو الاخر ثم ياخذونهم الى المقابر

(الى متى سنظل هكذا نحمل اغلبية المرضى الى المقابر ؟! الا يوجد حل لهذه المشكلة ؟!!)

(و انا مثلك يا صديقي ؟ و لكن قل هذا الكلام لمزمارك اللعين الذي تسبب بكل هذا)

(اقسم باني سارميه في البحر الى غير رجعة .... حذار ان تخبر السيد جونسون باني عزفت عليه و تسببت بالوباء)

(و هل انا مجنون حتى اقدم على هكذا تصرف ؟! انا ايضا متورط في الموضوع مثلك حتى اخمص قدمي)

(أحس باني أريد ان أتقيئ الآن ، فلم اعد أتحمل مشاهدة المرضى يموتون إمامي و بسببي ...)

ربت كامل عليه

(اصبر يا صديقي ، حتى تنزاح الغمة علينا)

و تابعا طريقهما دون توقف فراوا شخصان يحملان مريضا ميتا الى المقبرة

(من الميت ؟)

(انه زعيم البحارة عندنا)

ضرب كامل جبهته غضبا و حزنا

(اوه ، شئ مؤسف)

(اعرف هذا و لكن علينا نتابع طريقنا ، هيا يا صديقي)

فاستمر الاثنان في عملهما و بدا الوباء ينحسر تدريجيا حتى زال وجوده من المدينة .

(٣)

فوصل الطبيب بيتر و معاونه توماس إلى مقر السيد جونسون و معهما الملازم جورج ، فسأله السيد جونسون (و بعد أن إنزاح كابوس التيفوئيد أخيرا ، كم عدد الذين نجوا من الوباء ؟)

(بلغوا ٣٠ شخصا)

(و كم عدد الذين ماتوا بسببه أيها الملازم ؟)

(للأسف يا سيدي حتى تلك اللحظة صاروا ٦٥ شخصا)

فوضع أصابعه على جبهته (أوه ، تبا له ، لقد كان أخطر وباء عرفته المدينة منذ تأسيسها عام ١٩١١م و لا أعرف سبب هذا كله)

(لقد عرفت سبب كل هذا الوباء سيد جونسون ، فلقد المزارعون قبل أسبوعين بإلقاء ما تبقى من السماد الصناعي في ساحل البحر فلوث أجزاء كثيرة منه)

(و هكذا إنتشر الوباء يا سيدي)

(فهمت فهمت ، غدا أيها السادة سنقيم قداسا في الكنيسة على أرواح الذين ماتوا بسببه ، فهيا إستعدوا له جيدا)

فـإجتمع سـكان المدينـة حـول كنيسـة كراونكـورنر الرسـمية مـن أجـل القـداس علـى أرواح الـذين مـاتوا مـن جـراء الوبـاء الفظيـع الـذي إجتـاح مـدينتهم علـى حـين غفلـة مـنهم ، فرتلـوا التراتيـل بـنفس حـزين أحـزن طيـورا و جبـالا بأسـرها مـن أوجـاعهم المكلومـة ، و فـي تلـك الأثنـاء عـزف دافيـد على مزمـاره لحنـا حزينـا علـى مـا حـدث تسـبب إثـر إنتهائـه مـن العـزف بـإهتزاز الأرض فجـأة بمـن فوقهـا مـن الكنيسـة و زوارهـا و منـازلهم المجـاورة لهـا و خسـفت بهـم علـى حـد سـواء ممـا جعـل دافيـد يتشاءم كثيرا (تبا لك أيها المزمار اللعين ....)

(ألم أقل لك ألا تعزف عليه مجددا ؟!!)

(مـاذا أفعـل ؟!! كنـت أظـن أن لعنتـه قـد إختفـت تمامـا بعـد كـل هذه المصائب ....)

(لا وقـت لـدينا للثرثـرة ، هيـا بنـا نهـرب مـن الهـزة الأرضـية ، أسرع)

(ما الذي يحدث بحق السماء يا حضرة الملازم ؟!!!)

(إنـه زلـزال يـا سـيدي المحـافظ و حـل مباشـرة محـل الوبـاء بسرعة البرق دون أن نعرف كيف)

(اللعنة ! هذا ما كان ينقصنا ، ننجو من مصيبة حتى نقع في فخ مصيبة أخرى دون أن نعرف سبب قيام هذه المصائب !! إستنفر القوات كلها و أنقذوا الناس من الزلزال و إجلوهم إلى مكان بعيد و آمن منه ، تحرك أيها الملازم ؟!!)

(أمرك يا سيدي)

فإنطلق دافيد و كارل يحذران الناس من مغبة خطر الزلزال و يساهمان في إنقاذ ما يمكنهم إنقاذه (هيا أخرجوا من بيوتكم على وجه السرعة ، هيا)

(أتركوا كل شئ و أنفذوا بجلودكم من هنا ، هيا ، أسرعوا)

(من ظن أنها هزة خفيفة و أن خطرها قد زال فهو مخطئ ، فهيا أهربوا منها)

فهرب الناس كلهم إلى الضفة الأخرى من المدينة و ذهب معهم دافيد و بقي الملازم جورج في مكانه (و لكن أين السيد جونسون ؟!!)

فإتجه متخبطا يبحث عنه و كان في الكنيسة حيث تشققت أرضيتها من تحت قدميه فصرخ مذعورا (يا إلهي ، ما الذي يحدث عندي ؟! أنقذوني ؟!!)

فصرخ الملازم جورج في وجهه (يا سيدي أنك سوف تقع في تشقق في الأرض ، فإحذر و سوف أجد حلا سريعا للمشكلة ...)

(أنقذوني ؟!!!!!!!!)

و كاد أن يقع في التجويف المتشقق فأمسك بكلتا يديه طرفه و صرخ بأعلى صوته (ساعدني يا جورج ؟!!!!!!!!)

فإنطلق الملازم إلى جونسون بسرعة البرق مادا يده نحوه (أمسك بيدي يا سيدي)

(سأحاوووول !)

فمد يده إليه قبل أن يفلت منه و يقع في الحال مطلقا صرخة مرعبة أحزنت الملازم جورج على خسارته للسيد جونسون الذي لقي حتفه في الزلزال (أوه سيدي جونسون ، لقد مات)

أما دافيد و كارل فظلا متسمرين في مكانهما (ما هذا ؟!!! بالأول وباء و بعده زلزال ، أيعقل هذا ؟!!!!)

(صـــبرا يـــا صـــديقي دافيـــد ، مـــاهي إلا ســـويعات و تنقشـــع الغمـــة)

(لقـــد كرهـــت هـــذه المصـــائب الكـــوارث الجســـيمة التـــي حلـــت بمـــدينتا كوســـتيرا و بلادنـــا جمايكـــا ، و ســـببها مزمـــاري اللعـــين الغبي)

(أعرف شعورك يا صديقي)

فرجـــع المـــلازم إلـــى البلديـــة فســـأله دافيـــد (مـــا الأمـــر يـــا حضـــرة الملازم ؟!!!)

(لقد مات السيد جونسون خلال الزلزال)

(أوه لا ، المحـــافظ ؟! يـــا إلهـــي ، لقـــد كـــان أعظـــم محـــافظ لمدينتا المنكوبة)

(فعلا يا صديقي لقد كان رجلا مخلصا)

فهـــدا الزلـــزال و توقـــف و قـــام النـــاس بعـــد ذلـــك ببنـــاء بيـــوتهم و تحويـــل الأنقـــاض إلـــى حـــدائق خاصـــة لأطفـــالهم و قـــام دافيـــد و كـــارل بـــدفن المـــوتى (علـــى آخـــر الزمـــان أصـــبحنا اصـــحاب جنازات و حانوتيين)

(كف عن هذا)

(هـا أنـا أتـذكر لمـا لـم نـدفن جونسـون هـذه المـرة يـا صـديقي ؟!!!)

(لا عليك ، سوف ندفنه في وقت قريب)

(هـل تسـخر منـي ؟! كيـف سـندفنه و قـد إبتلعتـه الأرض فـي جوفها الناري قبل لحظات ؟!!)

(قـل لنفسـك هـذا الكـلام ، ..... آه لا نعـرف كيـف نتصـرف بدونه)

(حقا إنه رجل شهم ، لم يعرف شئ إسمه الملل أو الكسل)

(فليتغمـده الله بواسـع رحمتـه ، و نتمنـى أن يكـون خلفـه الـذي سنختاره مثله تماما)

و أقيمـت مراسـيم العـزاء مـن أجـل المـوتى و جونسـون ، فعـزف دافيـد على مزمـاره رغـم محاولـة صـديقه العابثـة منعـه مـن العـزف خـلال المـأتم ، فقامـت هـزة أرضـية أخـرى فيصـرخ المـلازم فـي الناس بأعلى صوته (هيا أهربووووا ، زلزال جديد)

فهـرب الجميـع إلـى إعلـى الجبـال المحيطـة بسـاحل كوسـتيرا مـا عـدا دافيـد الغاضـب مـن مزمـاره و صـديقه كـارل (تبـا لـك يـا مزماري ! تمنيت لو أحطمك !)

(دعك من هذه القضية ، لنهرب !)

(هيا يا صديقي)

فهربا الإثنان إلى أعلى مكان و تحطمت البيوت جميعا و لكن إنشقت الأرض مرة أخرى فخرج منها جونسون سليما معافا فرأه الملازم جورج فاغر الفم من الدهشة (سيد جونسون ؟!!!)

(نعم ، أنا هو)

(و لكن كيف خرجت من جوف الأرض ؟!!!)

(كنت محتميا بطبقة باردة فيها و بهذا إستطعت أن أستعيد حياتي إلى أن أتى الزلزال الأخير هذا و أنقذني من الموت)

(حمدا لله على سلامتك يا سيدي و جعلك في أتم صحة و عافية ، سوف أخبر الجميع بأنك بخير و سترجع محافظا لمدينتنا المشتاقة إليك ، سأسرع من فوري و أخبر الناس بخبر نجاتك من الموت بعد أن غلبتني الدهشة لبرهة وجيزة ، عن إذنك)

فإتجه الملازم جورج إلى المنكوبين من سكان المدينة و صرخ بأعلى صوته (أن السيد جونسون ما زال على قيد الحياة)

(قيد الحياة ؟! حقا ؟!!)

(نعم)

(من أجل هذا سنفرح و نرقص أيضا)

و بعد الزلزال هنا كل واحد منهم جونسون بعودته الى الحياة ، و بعد ذلك قام كل واحد ببناء بيته ما عدا دافيد و كارل ، فأعد الأول حقيبته تحت إستغراب كارل (إلى أين سنذهب ؟!!)

(إلى العاصمة كينغستون)

(و لماذا ؟!!)

(حتى أشعر بالراحة أكثر من هنا على الأقل)

(كما تريد يا صاحبي هيا)

(٤)

تـــرك الإثنـــان كوســـتيرا و إتجهـــا صـــوب العاصـــمة ، و مـــا إن وصـــلوا إليها حتى تنفسوا الصعداء (ها قد وصلنا إلى العاصمة)

(أرجو ذلك ، فلنذهب إلى هذا المطعم)

فـــذهب الإثنـــان إليـــه فســـأل النـــادل أحـــدهما (طلبكمـــا لـــو سمحت ؟!)

(شراب كاكاو بارد)

(حاضر)

فظهـــر أمامهمـــا مطـــرب مـــن مطربـــي الريغـــي ســـيغي فـــي المطعـــم و هـــو يغنـــي بقوتـــه و بصـــوت جميـــل جـــدا (come down baby , come down baby)

فكـــان يشـــرب دافيـــد الكاكـــاو بســـعادة غـــامرة (إن الأغنيـــة جميلـــة جدا)

(علينـــا ألا نضـــيع الوقـــت الآن يـــا دافيـــد ، فلنبحـــث عـــن نـــزل نستريح و ننام فيه)

(هيا يا صديقي)

فـــذهبا إلـــى أحـــد الفنـــادق الواقعـــة بـــالقرب مـــن ســـاحة المدينـــة التجاريـــة الواقعـــة بـــالقرب مـــن مبنـــى مجلـــس الشـــيوخ و إســـتاجرا فيه غرفة لشخصين (أنا بي رغبة في العزف على المزمار)

(لا ، أرجوك يا صديقي ، لا تفعل !)

(بل سأفعل)

(يا إلهي ؟!!)

فعـــزف علـــى المزمـــار لحنـــا جمـــيلا أدى إلـــى إنفجـــار قنبلـــة فـــي العاصـــمة و لاســـيما بـــالقرب مـــن الحـــي الـــذي يســـكنون فيـــه (تبـــا لك و مزمارك اللعين ؟!)

(ما الذي حدث بحق الجحيم ؟!!)

(إنها إشتباكات مسلحة بين المتمردين و الحكومة)

(لماذا ؟)

(بسبب رئيس الجمهورية فقط ....)

فـــإنتظر الإثنـــان إلـــى أن إنتهـــى وقـــت القصـــف بســـرعة و عنـــدما ســـمعه الـــرئيس الجمـــايكي مـــارتن هيبيتـــو جلـــس علـــى الكرســـي ســـائلا مستشـــاره النصـــيحة (مـــاذا أفعـــل يـــا حضـــرة المستشـــار جاكسون ؟!!)

(عليك أن تعلن إستقالتك أمام الجميع حتى تأمن البلاد شر الحرب الأهلية بعدما وصلت الأمور فيها إلى حد الإقتتال في شوارع العاصمة دون أن يحسم الجيش المسالة إثر إنشقاق العديد من عناصره و إنضمامهم إلى صفوف المتمردين المدعومين من أمريكا)

(أنت محق يا حضرة المستشار ، أمن بلادي أهم)

فدعا الرئيس المتمردين إلى الإجتماع به في القصر الجمهوري هناك ، فإستغرب زعيمهم ذلك ، و في الصباح التالي أعلن رئيس الجمهورية إستقالته أمام جمع غفير من المسئولين و قادة الجيش المندهشين من ذلك إضافة إلى المتمردين (أنا أتقدم إليكم بإستقالتي من رئاسة الجمهورية أيها السادة من أجل ألا تدخل بلدي في طاحونة الحرب الأهلية التي لا تبقي و لا تذر و تهلك الحرث و النسل ، و أتمنى من كل قلبي أن تنتخبوا رئيسا جديدا للبلاد تتفقون عليه)

فرح المتمردين بهذا القرار ، و بدأت على إثر ذلك خلال أسبوعين مما جرى إجراء الإنتخابات الرئاسية

(ما رأيك أن ننتخب ؟)

(كحق ديمقراطي ؟)

(كحق رغيف سلطة)

فضحك الإثنان كثيرا و إنتخب الشعب رئيسا جديدا للبلاد فأصبح كريستيان زعيم المتمردين رئيسا للجمهورية ما أثار سخرية دافيد من ذلك (بعد إن إنتخبنا عدونا رئيسا للبلاد علي أن أعزف على مزماري بهذه المناسبة)

(أتوسل إليك بألا تفعل ذلك ، ألم تحرم على نفسك العزف عليه أبدا ؟)

(لقد أصبح قدري المحتوم و لا فكاك منه)

(و لكن ...)

لم يأبه دافيد لكلام صديقه فعزف على المزمار فحدث زلزال رهيب على درجة ٦ بمقياس ريختر هز العاصمة هزا عنيفا و تسبب بالعديد من الضحايا ، و تجمع العديد من سكانها حول سواحلها بعيدا عن الزلزال أفواجا أفواجا فاقت النمل في عددا و عدة .

جلس دافيد معهم على البحر حيث رأه كارل حزينا (ما بك يا عزيزي واجم جدا ؟)

(أفكـــر بالـــذي يحـــدث فـــي بلادنـــا مـــن أحـــداث مؤلمـــة ســـببها مزماري اللعين أم لا)

(نعـــم ، إنقلابـــات – هجـــوم علـــى الصـــيادين – زلازل – أوبئـــة ..... و لكـــن مـــاذا تقصـــد بالـــذي يحـــدث فـــي بلادنـــا ؟ هـــلا أفصحت رجاء ؟)

(أقصـــد أن جمايكـــا تحولـــت إلـــى مزمـــار لعـــين ، إذا عزفـــت عليـــه إنبثـــق الشـــر كلـــه بشـــكل مفـــاجئ منـــه و حلـــت لعنتـــه الظـــاهرة علـــى الجميع دون أي مبرر يذكر حتى و لو قررت التخلص منه)

(أظن ذلك ، و ماذا ستفعل بمزمارك ؟!)

(لقـــد قـــررت أن أقذفـــه فـــي البحـــر حتـــى و لـــو لـــم تـــزول لعنتـــه عـــن بلادي)

فرماه فقط في البحر(هيا بنا)

فتمشـــا الإثنـــان علـــى رمـــال البحـــر الكـــاريبي الذهبيـــة بعـــدما أن قذفوا بالماضي خلف ظهرانيهم .

(تمـــت)

طبعت في مطابع

صنعاء